قل يا محمد لهولاء المشركين الذين سالوا الايات انما اتبع ما يوحى الي من ربي اي
ليس لي ان اقترح على ربي في امر من الامور وانما انتظر الوحي فكل شي اكرمني
به قلته والا فالواجب السكوت وترك الاقتراح ثم بين ان عدم الاتيان
بتلك المعجزات التي اقترحوها لا يقدح في الغرض لان ظهور القران على وفق
دعواه معجزة بالغة باهرة فاذا ظهرت هذه المعجزة الواحدة كانت كافية في
تصحيح النبوة فكان طلب الزيادة من باب التعنت فذكر في وصف القران
الفاظا ثلثة اولها قوله هذا بصاير من ربكم اي هذا القران فيه حجج وبراهين
واصل البصاير الابصار وهو ظهور الشي حتى يبصره الانسان ولما كان القران
سببا لبصاير العقول في دلائل التوحيد والنبوة والمعاد اطلق عليه لفظ
البصيرة فهو من باب تسمية السبب باسم المسبب وثانيها هدى اي وهو
هدى وثالثها رحمة اي وهو رحمة لقوم يومنون فان قيل ما الفرق بين
هذه المراتب الثلاث اجيب بانهم متفاوتون في درجات العلوم فمنهم من بلغ
الغاية في علم التوحيد حتى صار كالمشاهد وهم اصحاب عين اليقين ومنهم
من بلغ درجة الاستدلال والنظر وهم اصحاب علم اليقين ومنهم المسلم
المستسلم وهو عامة المومنين وهم اصحاب حق اليقين فالقران في حق
القسم الاول وهم السابقون بصاير وفي حق القسم الثاني وهم المستدلون
هدى وفي حق القسم الثالث وهم عامة المومنين رحمة واذا قرئ القران
فاستمعوا له وانصتوا اي الكلام لعلكم ترحمون اي لكي يرحمكم ربكم باتباع
ما امرتم به ثم انهم اختلفوا في سبب نزول هذه الاية فذهب قوم
الى انها نزلت في الصلاة كانوا يتكلمون فيها فامروا باستماع قراءة الامام
والانصات وروي عن ابي هريرة رضي الله عنه انهم كانوا يتكلمون في الصلاة
بحوائجهم فامرنا بالسكوت والاستماع الى قراءة القران وقال قوم نزلت
في ترك الجهر بالقراءة خلف الامام وروى زيد بن اسلم عن ابيه عن ابي

هريرة

هريرة رضي الله عنه قال نزلت هذه الاية في رفع الاصوات وهم خلف رسول الله
صلى الله عليه وسلم في الصلاة وقال الكلبي كانوا يرفعون اصواتهم في الصلاة
حين يسمعون ذكر الجنة والنار وعن ابن مسعود انه سمع ناسا يقرون مع الامام
فلما انصرف قال اما آن لكم ان تفقهوا واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا
كما امركم الله وهذا قول الحسن والزهري ان الاية نزلت في القراءة في الصلاة
وقال سعيد بن جبير وعطاء ومجاهد ان الاية نزلت في الخطبة امروا بالانصات
لخطبة الامام يوم الجمعة وقال عمر بن عبد العزيز الانصات لكل واعظ وقيل
معناه واذا تلي عليكم الرسول القران عند نزوله فاستمعوا له وانصتوا وقيل
معناه فاستمعوا له فاعملوا بما فيه ولا تجاوزوه قال البغوي والاول اولاها
وهو انها في القراءة في الصلاة لان الاية مكية والجمعة وجبت بالمدينة قال
البيضاوي وظاهر اللفظ يقتضي وجوبهما حيث يقرا القران مطلقا وعامة
العلماء على استحبابهما خارج الصلاة واحتج به من لا يرى القراءة على الماموم
وهو ضعيف لانه مردود بحديث الصحيحين لا صلاة لمن لم يقرا فيها بفاتحة
الكتاب وقوله تعالى واذكر ربك في نفسك عام في الاذكار من القراءة والدعاء
وغيرهما والمراد بالذكر في النفس ان يستحضر في قلبه عظمة الله جل جلاله لان
الذكر باللسان اذا كان عاريا عن ذكر القلب كان عديم الفايدة لان فايدة
الذكر حضور القلب واستشعار عظمة المذكور تعالى قال الرازي سمعت بعض
الاكابر من اصحاب القلوب يقول كان الوالد يامر واحدا من المريدين بالخلوة
والذكر اربعين يوما بالخلوة والتصفية ثم عند استكمال هذه المدة
وحصول التصفية الكاملة يقرا عليه الاسماء التسعة والتسعين ويقول
للمريد اعتبر حال قلبك عند سماع هذه الاسماء فكل اسم وجدت قلبك عند
سماعه عظيم التاثير وعظيم الشوق فاعلم ان الله تعالى انما يفتح ابواب
المكاشفات عليك بواسطة المواظبة على ذكر ذلك الاسم بعينه وهذا

Copyright King Saud University